الاستاذ

الجزء الرابع من السنة الاولى

يوم الثلاثاء ٢٢ صفر سنة ١٣١٠ و٤ توت سنة ١٦٠٩

الموافق ١٣ سبتمبر سنة ١٨٩٢

الجامعة الوطنية والاختلاط العمراني

لا تعمر البلدان الا ان رأت * مجموع من في ارضها انسانا

وقد كانت الاقطار الشرقية قبل الاسلام في تخاذل وتنافر بعارض ديني او طمع ملكي يلجيء الحاكم المحكوم الى ترك معتقده بالقوة والالزام او بالقهر والاذلال سعياً في توحيد كلمة المحكومين وسيرهم تحت قانون ملكي وحكم ديني يقضي على المجموع بالتضامّ والتعاضد وربط القلوب بداعية لا يختلف فيها اثنان · وكان ذلك معدودا من حزم الملوك وحسن تبصرهم بالعواقب · فلما جاء الإسلام قبل من الناس احد امرين الاسلام اوالانقياد لطاعة القائم بامر الامة فدخل في ذمة المسلمين ملايين من المسيحيين والموسويين والمجوس على اختلاف مذاهبهم واجناسهم وشملهم القانون العادل وحكم بانهم مثلنا في الحقوق الوطنية لهم ما لنا وعليهم ما علينا ثم استعان بهم الخلفاء والسلاطين على قطع العقبات السياسية

واستعملوهم في الاعمال الكتابية والحسابية والعلمية الحكمية وتوحدت الجامعة الوطنية بالقانون الشرعي الذي يعد ناقضه عاصياً لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم · ومع اتصال الحروب مع الدولة الاسلامية والدول المسيحية لم يجن احد على مستوطن او وطني ولو كان من الامة المحاربة حفظاً للجامعة الوطنية التي قررت حرمتها النصوص الشرعية · وقد توالت العصور والمسلمون هم هم رعاية للذمة وحفظاً للعهود ودفاعا عن المستوطن لم يعاملوا من غايرهم ديناً معاملة البلغار للمسلمين ولا معاملة الروسيا لليهود ولا معاملة فرانسا للجزويت ولا معاملة ريجار احد ملوك انكلترة لليهود ولا معاملة اسبانيا للمسلمين · فاننا نرى البيت ثلاث طبقات المسلم في واحدة والمسيحي في الثانية والموسوي في الثالثة يتزاورون ويتهادون ويجتمعون في الافراح والمآتم ويتعاملون معاملة المستوين ديناً · لا يتعرض احدهم لتقبيح دين الآخر ولا تزييفه ولا يتعرض المسلم لتغيير شيء من الانجيل والتوراة كما تتعرض الطوائف الاخرى لكتابه · على انه الى الان لم يدخل تحت سلطة الغير كما دخل كثير من المسيحيين تحت سلطة المسلمين ولم يتعرضوا لكنيسهم بشيء ولا منعوهم عادة دينية ولا اقفلوا لهم كنيسة ولا هتكوا عرضاً ولا نهبوا مالاً ولا استحلوا دماً بل كانت الجامعة الوطنية حجاباً بينهم وبين كل ما من شأنه أن يثلم الشرف او يضر بالذوات والاموال وقد تركت لهم حرية التعليم في كنائسهم ومعابدهم ومدارسهم من غير ان يكون عليهم رقيب او يحجر عليهم تعليم فرع من فروع الدين فضلاً عن

اصوله · واذا تعدى احد الرعاع الجهلة على وطني او مستأمن عوقب عقاباً شديداً بقدر جنايته · وبهذا العدل الشامل تمت الجامعة الوطنية في الاقطار الشرقية حتى كان المسيحي والموسوي يساعدان المسلم على قتاله مثيلهما حبا في الوطنية وحفظاً للجامعة المؤيدة بالنظام العام · وعند ما لعبت ايدي الفتن بالشرق وتوزعت وحدته شذر مذر وتفرق ممالك وولايات كانت مصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع بمثلها في الاقطار اذ كانت الامة الاسلامية مع الطائفة القبطية كاهل بيت يتعاونون على المعاش ويتعاورون الاعمال ويتقاسمون النظر في شؤن البلاد ويتعاضدون على حفظ الوطن من طوارئ المدوان · فكنت تسمع بالثوار من المسلمين والنصارى في الشام والبلغار وهرسك ورومانيا وكريد وغيرها ولا تسمع يوماً بوقوع فتنة دموية بين المسلمين والاقباط لشدة الرابطة بينهم · حتى في الحروب الصليبية التي تحرك لها عالم اوروبا برمته وامتدت قرنين وكان لمصر فيها الشأن الاكبر واليد القوية ولم يسمع ان مسلماً تعدى على قبطي مع اشتعال نيران الحروب · ولقد امتد ذلك الى الآن حتى في زمن الحركة الاخيرة التي كانت مظنة لحدوث فتنة بين المسلمين والاقباط فانه لم يسمع بتعدي احد الفريقين على الاخر وعلى الخصوص في بلاد الصعيد التي يسكنها معظم الاقباط وهذا كلهُ دليل على ان التسوية بين المحكومين تكون الجامعة الوطنية فاذا عدل فريق من افرقاء الجامعة الوطنية عن توحيد الكلمة واخذ جانباً عن اخوانه الوطنيين وتبعه فريق آخر ففريق غيزه تجرأت

الجامعة وتبدد الشمل المجتمع ولعبت الاهواء بالافكار وتحولت المحبة الى العداوة وانقلب الائتلاف نفوراً وتداخل الغير بين ذوي الاهواء يحثهم على النفرة ويحرضهم على البغضاء ليتوسل بايغار الصدور الى مقصد ديني او مطمع ملكي · ونحن لساعة تحرير هذا المطلب لم نفقد حاسة من حواس الجامعة الوطنية ولم نشعر بفارق بيننا وبين الطائفة القبطية ولا بين الطوائف العديدة التي دعت ضرورة الاختلاط العمراني لتمسكنا بحبل الانس بكل وارد منهم مستوطناً او مجتازا فانك ترى الاجناس المختلفة الدين والوطن واللغة يساكنوننا معاشر المصريين فلا يجدون الا صدورا رحيبة ووجوها ضاحكة والسنة رطبة بالتحيات والتهاني فترى الرجل منهم يسكن في قرية من قرى الريف والفلاح يحرسه ويقضي له اشغاله ويحفظ له امواله وهو في عزة وسعادة كأنه بين عشيرته في بلاده وهو امر لا يحلم به شرقي في غير بلاده

ومعلوم ان القانون اذا لم يجد منفذاً ضاع ووقعت الامة في الهرج والمرج واذا وجد منفذاً غير عادل اوغر الصدور وحرك النفوس وملاء القلوب بالاحقاد وقد وضع القانون الشرعي والسياسي في يد المرحوم محمد علي باشا اخيراً وانتقل التمسك به الى ذريته من بعده فجرى الخلف على اثر السلف في حياطة الامة المحكومة والمحافظة على ارواحها واعراضها واموالها وتنفيذ احكام القانون في الافراد مسلمة ومسيحية واسرائيلية · وقد ملأوا الوظائف برجال هذه الطوائف بحسب الاستعداد والقابلية ووجهوا الرتب الى المستحقين من كل فريق وسوّوا بينهم في الضرائب والعوائد وسائر

الحقوق الوطنية حتى ان من دخل الديار ورأى هذا النظام البديع وتوحيد الجامعة الوطنية حكم بانهم على دين واحد ومن جنس واحد فلا يعلم انهم مختلفون ديناً الا عند ما يسمع صوت المؤذنين ودق الاجراس . وقد دخل كثير من الاقباط في المدارس الاميرية ولم يرَ تلميذ منهم معلما ينقله من دينه ولا اكره على اداء صلاة المسلمين كما يفعل الغير في اكراه اطفال المسلمين على اداء صلاة المسيحيين قبل الدخول في الدروس . ولا راى كتاباً يتعلم فيه وفيه تهجين دينه او تقبيحه كما يوجد في كتب مدارس الغير . وكل هذا بسعي القوة الحاكمة في توحيد الجامعة الوطنية وقطع عروق الشقاق والبغضاء وتأييد القواعد الاسلامية التي تقضي على الآخذين بها بوجوب المحافظة على الوطني والمستوطن ومعاملته معاملة المثيل . ومع كون الاقباط عاشوا دهرًا طويلاً وهم اصحاب مشية واحدة يأتمرون بامر رئيسهم الديني وينتهون بنهيه فانهم لم يجتمعوا يوماً لتفريق عصا الجامعة ولا لشق ثوب الائتلاف ولا تنافروا مع المسلمين بسبب من الاسباب دينياً كان او دنيوياً ولا مالوا للخروج من ظل عدل الحكومة المصرية الى حرارة غيرها لعدم الموجب . فقد علموا بالتجارب والمعاينة ان التمتع بالحكومة المحلية هو النعيم الدائم ولهم في تعب الطوائف المحكومة بالغير اكبر واعظ واشد زاجر

فلا تعجب اذا قلت لك ان العائلة المحمدية الحاكمة لمصر امتازت بحكمة لم تتيسر للملوك . والدليل القطعي وجود هذه الاعداد الكثيرة من الاجانب في المدن والقرى آمنين مطمئنين متمتعين بنعمة الصيانة والوقاية

فائزين بدرجة التقدم والرفعة قابضين على اعنة الثروة والرفاهة ملحوظين بعين العناية الخديوية مختلطين بالمسلمين والاقباط واليهود المصريين في المعاملات والمجامع والطرقات يتبادلون التزاور والتهاني والتعازي والمعايدات ومجموع الوطنيين والمستوطنين قائمون بشعائرهم الدينية فاذا وقفت في شارع مرَّ عليك ميت مسلم تفتح امامه المصاحف ويتلى القرآن العزيز ويتلوه ميت مسيحي ترفع امامه الصلبان وتمشي القسس بالملابس الدينية الرسمية امامه وربما حيطت الجنازة بفريق من العسكر الوطني . وما ذاك الا بما فطر عليه المصريون من لين الطباع وحب الغريب وسهولة الاخلاق وحسن المعاملة وسرعة الائتلاف وبعدهم عن الخديعة والمكر والنفاق وخفر الذمم ونقض العهود والسعي في المفاسد والمضار . فهم في المجتمع الانساني امة قريبة من كل امة محبة لكل جنس لا يحوِّل طباعهم الا دخيل يزين لهم التخاذل وعدو يواددهم حتى يتمكن من قلوبهم ثم يزرع بينهم بزر الشقاق والتنافر فتراهم يتسارعون للانقياد والاستسلام معتقدين صدق من يستميلهم وهذا الذي اخرهم في العصور الخالية اما وقد جرَّبوا الزمن واهله فانهم اعدوا لكل شبهة جواباً ووقفوا بين يدي خديويهم الافخم حذرين من الطوارئ منقادين للاوامر شاكرين لانعمه حامدين لاعماله المبرورة لا يفرق بينهم دخيل ولا يشق عصا اجتماعهم عدو بعد ان رأوا سوء عاقبة الواقعين في شرك الغير وكانوا يَعِدُونهم ويمنونهم فاصبحوا وقد أُخلفت الوعود وكذبت الاماني

فنحن معاشر المصريين نفتخر بين الامم بهذه الجامعة التي لا تنحل

عقدتها ولا يبدد نظامها · ونعني بالمصريين كل وطني من العرب والترك والجركس اما العرب فانهم ساكنوا الاقباط من مبداء الفتح الاسلامي الى الآن فتوغلوا في الوطنية من امدٍ بعيد · واما الترك فانهم وان تأخروا عن العرب في الاستيطان ولكنهم هجروا بلادهم وتعاقبوا الاقامة ولدا عن والد حتى نسوا بلادهم فلو عاد احدهم اليها لكان اجنبيا فيها لطول العهد فان منهم من له عشرة اجداد في مصر ومنهم من له اكثر واقربهم من دفن اباه فيها وولد بين اهليها فصارت وطناً صحيحاً لكل قاطن فيها من هذا الجنس العالي الهمة بل كلهم مصريون اصليون لا يميزهم من غيرهم الا المحافظة على لغتهم بالتلقي عن الآباء والامهات · واما الجركس فان من ولد منهم في مصر فحكمه حكم العرب والترك ومن ولد في غيرها فقد جاءها صغيرًا دون سن التمييز في الغالب وربما انهُ لا يعرف اسم بلده او والده ووالدته عند كبره لمفارقته وطنه قبل المراهقة فهم مصريون حقيقيون لا يمتازون الا بمعرفة اصل الجنسية بينهم · والاقسام الثلاثة تجمعهم الرابطة الدينية قبل الجامعة الوطنيـــة · فاعتبارنا الاجناس الثلاثة مع الاقباط مصريين اعتبار صحيح حجته المشاهدة والعيان · وقد امتزجت جموعهم هذه بفريق من اخواننا السوريين فشاركونا في الادارة والتجارة مشاركة ذكرتنا اتحاد المصريين والفينيقيين في العصور الاولى حيث توحدت جامعتهم وبها شرقوا وغرّبوا وملاؤا الدنيا بعلومهم وصنائعهم وعلموا الامم القديمة علوم المدنية فاحسنت اليونان الاخذ عنهم ثم قاموا عليهم بعد ان تربوا تحت احضانهم فانعكست الدورة وانتقلت السيادة الى اليونان الى ان جاء

الفتح الاسلامي واشتغل علماء العرب بالعلوم الحكمية اليونانية ثم تبودلت بين المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين حتى رجعت الدورة على ما كانت عليه . يشهد بذلك ظهور الالوف من النبهاء والبلغاء والجهابذة ومئين من المؤلفين وتشكيل المحافل من المصريين والسوريين على اختلاف اديانهم لا ينظرون الا الى وجهة واحدة هي حفظ الشرق للشرقيين . وهذا الذي دعا الجرائد الاجنبية للثناء على اعمال هذه الجامعة ومدح القوة الحاكمة والرضا بهذا النظام البديع . فاذا عاد هذا الاجتماع تفريقاً معاذ الله تعالى بان تعصب كل فريق لجنسه او دينه فقد وقعنا فيما وقع فيه السابقون وعكسنا على الحكومة المصرية مساعيها الجليلة في توحيد الجامعة وقطع عروق الشحناء . فعلينا معاشر المصريين والسوريين ان نحيي ما اماته التخاذل من مجد السابقين وشرف المتقدمين فان التاريخ يتلو علينا من فضائهم آيات ويؤكد لنا انهم ما وصلوا الى ذروة المجد بالمعارضات الدينية ولا بالمنافرات الجنسية وانما ظهر مجدهم في مصر وصيدا وصور وقرطاجنة بالجاذبة الكهربائية المسماة بالجامعة الوطنية والاختلاط العمراني

فالناس شتّى في التنافر والمِرا   والكل ان الّتهم إنسان

اعتذار

سي ظارافت بات مخموراً فاصبح مريضاً من تلك السكرة وعندما يشفى نسمع حكايته وننشرها . وباب التهذيب يتخلل مطالب الاعداد ولكن على غير توالٍ . ولدينا رسائل واسئلة ندرجها بالاعداد الآتية ان شاء الله تعالى الاول فالاول ولا نقبل من الاسئلة ما يخالف مشرب الجريدة